مجلة البحوث والدراسات العربية للطفل والأسرة والمجتمع- ISSN PORTAL : 3006-1822

ماذا عن الإنسان من وراء كل نظرة للجسد؟

الاسم : نبيل

اللقب : الجوينـي

عنوان المقال : **في شَرنقة الرياضة**

ماذا عن الإنسان من وراء كل نظرة للجسد؟

تُعدّ الرياضة من أكثر الظواهر الإنسانية ثراءً وأقلّها حظاً من التأمل الفلسفي الجادّ؛ إذ كثيراً ما نظر إليها المفكرون باعتبارها نشاطاً هامشياً لا يرقى إلى مستوى الإشكاليات الكبرى. غير أن القراءة الأنثروبولوجية المعمّقة تكشف أن الرياضة ليست هرباً من الوجود، بل هي تكثيفٌ له وتجليةٌ لأعمق بنياته.

قبل أن تكون الرياضة مؤسسةً اقتصادية أو صناعةً ترفيهية، كانت طقساً وجودياً يُعبّر الإنسان من خلاله عن علاقته بجسده والآخر والكون. ففي أروقة الملاعب وعلى أرض الميادين، تتكشّف حقائق أنثروبولوجية جوهرية عن طبيعة الإنسان: حاجته إلى الاعتراف، وسعيه إلى تجاوز حدوده، وبحثه الدائم عن هوية تُميّزه وتربطه في الآن ذاته بجماعته ; الشرنقة ليست سجنًا، بل هي فضاء تحوّل. حين نضع الرياضة في هذه الاستعارة، نكشف عن بُعدها الأعمق: أنها ليست مجرد نشاط بدني، بل نظام معنى يحيط الإنسان بمنطق كامل عن الجسد، والوقت، والذات، والآخر. والسؤال الأنثروبولوجي الجوهري ليس "كيف يؤدي الإنسان الرياضة؟" بل "مَن هو الإنسان الذي تُنتجه الرياضة؟"

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0).

هذا البحث متاح بموجب رخصة المشاع الإبداعي نسب المصنف - غير تجاري 4.0 دولي (CC BY-NC 4.0).

يسعى هذا المقال إلى تأصيل لظاهرة الرياضة كبنيةٌ أنثروبولوجية عميقة ضاربة في جذور الوجود الإنساني.

ان الرياضة في الثقافة الانسانية المعاصرة هي موضوع تقريظ وتكريم، تتضافر في دراستها منهجيات عديدة :نفسية وفلسفية و اجتماعية و انثروبولوجية ، ولم يعد أحد يلزم نفسه بتبرير البحث في هذا الموضوع ،فالحياة تفرض على الإنسان أن ينظر في جسده يوما بعد يوم كما يقول الفيلسوف الفرنسي" مشال برنار ." إن الرياضة هي أحد الاشكال الراقية للظاهرة الحركية لدى الانسان، وطور متقدم من الألعاب وبالتالي من اللعب ، وهي الاكثر تنظيما والارفع مهارة ،ولعل كلمة رياضة في اللغة الانقليزية و الفرنسية Sport هي من اللاتينية Disport وهو الأصل الاتيمولوجي للكلمة والذي ينعقد على معنى التحويل والتغيير ،فقد حملت الرياضة مدلولها من الناس عندما يحولون مشاغلهم واهتماماتهم بالعمل إلى التسلية والترويح إلى صورة متصلة باللعب ، وباللعب فقط يتحقق الانسان يقول شيلر فريدريك" لا يكون الانسان انسانا الا عندما يلعب."

ويعرف Matveyev الرياضة بكونها نشاطا ذو شكل خاص جوهره المنافسة المنظمة من أجل قياس القدرات وضمان اقصى تحديد لها " فالرياضة بهذا المعنى تنحصر في فكرة النشاط التنافسي ، وهذا التنافس هو سمة اساسية يضفي على الرياضة طابعا اجتماعيا ضروريا كما ذهبت إلى ذلك Klosowska عندما اعتبرت الرياضة نتاجا ثقافيا للطبيعة التنافسية للانسان من حيث هو كائن اجتماعي ثقافي، وفي غياب الاندماج الخالص في الرياضة يكف هذا النشاط عن كونه رياضة.

ان الرياضة كما اشار" لوشن سيج "في تعريفه النموذجي هي"نشاط مفعم باللعب، تنافسي، داخلي وخارجي المردود، يتضمن افرادا أو افرقة تشترك في مسابقة، وتقرر النتائج في ضوء التفوق في المهارة البدنية و الخطط"

ما يُميّز الرياضة عن سائر الأنشطة الإنسانية هو ذلك التوتر البنيوي الخصيب الذي تحتضنه في آنٍ واحد: بين اللعب الحر والقاعدة الملزمة، وبين الفردية الجارفة والانتماء الجماعي، وبين المتعة العفوية والانضباط الصارم، وبين الغاية الذاتية والاعتراف الاجتماعي. هذه التوترات ليست تناقضات تُفتّت الظاهرة، بل هي محركاتٌ ديناميكية تمنحها حيويتها وعمقها

الإنسان حيوانٌ لاعب قبل أن يكون حيواناً عاقلاً — يوهان هوزنغا، الإنسان اللاعب

يذهب يوهان هوزنغا في كتابه الرائد 'الإنسان اللاعب' إلى أن اللعب سابقٌ للثقافة ذاتها، وأن الحضارة الإنسانية نشأت في اللعب ومن خلاله. الرياضة هي الشكل الأكثر تنظيماً وتجلياً لهذا اللعب البدائي الذي يُعبّر عن طبيعة إنسانية لا يمكن اختزالها في العقل والأداء.

حين نتحدث عن 'الربح' في الرياضة، لا ينبغي اختزاله في الجائزة المادية أو الرصيد الإعلامي. الربح بمعناه الأنثروبولوجي العميق هو استجابةٌ لحاجات وجودية متجذّرة في بنية الإنسان. وإن كانت المؤسسة الرياضية الحديثة قد رسّخت ثقافة الربح الاقتصادي حتى غدت مُهيمنة على المشهد، فإن هذا لا يُلغي البُعد الأنثروبولوجي الأعمق الكامن وراء التنافس.

الاعتراف الاجتماعي — هيغل في الملعب

أشار هيغل في فينومينولوجيا الروح إلى أن الذات لا تتشكّل في عزلتها، بل في مرآة الآخر. الفوز في الرياضة هو صيغةٌ مكثّفة لهذا الاعتراف الهيغلي: لحظةٌ يُقرّ فيها الآخر بتفوقك، وهو ما يختلف جوهرياً عن التفوق الصامت غير المشهود. لذا لا يكفي الرياضيُّ أن يكون الأفضل في ذاته، بل يحتاج إلى أن يُعترف بهذا التفوق في فضاء عمومي، أي أن الملعب هو ساحة صراع الاعتراف بامتياز.

تجاوز الحدود ـــ الانتصار على الممكن

الربح الرياضي هو انتصارٌ على الممكن. الرياضي لا ينافس خصمه وحسب، بل يُقارع حدود الطبيعة البشرية ذاتها: الزمن والجاذبية والألم والخوف. في كل رقمٍ قياسي مكسور، وفي كل حدٍّ متجاوَز، يُعلن الإنسان تمرّده الأصيل على ما رُسم له من قيود. وهذا ما يمنح الرياضة بُعدها الأسطوري: إنها القصة الإنسانية الكبرى في صراعها الأبدي مع المحدودية.

البُعد الوجودي والفينومينولوجي

أ) الجسد بوصفه مشروعاً وجودياً

قدّم موريس مرلو-بونتي في كتابه 'فينومينولوجيا الإدراك' الجسد لا بوصفه أداةً تمتلكها الذات وتُوجّهها من الخارج، بل بوصفه الطريقة الأصيلة لوجود الإنسان في العالم وانفتاحه عليه. الجسد ليس 'شيئاً أملكه' بل هو 'الطريقة التي أكون بها في العالم'.

الرياضة هي المختبر الأكثر كثافةً وكشفاً لهذه الحقيقة الفينومينولوجية. فالرياضي المحترف لا يُفكّر ثم يتحرك، بل التفكير والحركة فيه شيءٌ واحد لا يتجزأ. يعمل في ما سمّاه تشيكسنتميهاي حالة 'التدفق': حالةٌ تنعدم فيها المسافة بين الذات والفعل، فلا يعود ثمة مُراقِب ومُراقَب، بل وجودٌ واحدٌ خالص في الحدث.

ب) الوجد الرياضي ـــ اللحظات الكاشفة

الوجد في الفلسفة الوجودية هو تلك اللحظات التي تنكشف فيها الذات لنفسها بشكل مباشر وغير مُوسَّط. الرياضة تخلق هذه اللحظات بامتياز: لحظة الفوز تكشف للذات قدرتها على تجاوز ذاتها. ولحظة الهزيمة تكشف هشاشة الذات وإمكانية إعادة بنائها. والألم الرياضي يُعلّم الجسد حدوده وقابليتها للتوسع. أما التدريب المتكرر فهو تجربةٌ وجودية عن العلاقة بين

الإرادة والتحوّل. من منظور هيغل، الرياضي يُحقق ذاته في الفعل المُعترف به ـــ إنه ليس كياناً مُعطى بل مشروعٌ يتشكّل عبر الممارسة والمواجهة. أما سارتر فيرى أن الرياضة استجابةٌ للقلق الوجودي الأصيل: الرياضي يُعرّف نفسه بما يفعله لا بما هو. وفي سلّم ماسلو، يُمثّل الإنجاز الرياضي أعلى درجات تحقيق الذات لأنه يُوحّد القدرة الجسدية والإرادة الذهنية و الاندماج الاجتماعي في تجربة واحدة مكثّفة .

الرياضة بوصفها فضاءً لتشكّل الهوية وتجلّيها

أ) الهوية الفردية ـــ الرياضي بوصفه نصاً وجودياً

الهوية في الفلسفة المعاصرة ليست جوهراً ثابتاً مُعطى سلفاً، بل هي بناءٌ متواصل ومفتوح عبر السيرة والفعل والعلاقة الرياضة توفر للفرد نسيجاً هوياتياً استثنائياً: فالرياضي ليس مجرد ممارس لنشاط، بل هو 'قارئٌ' لذاته من خلال الأداء، و'كاتبٌ' لسيرته عبر المواجهات المتراكمة. ما يجعل الهوية الرياضية خاصة هو أنها هويةٌ تتشكّل في الاختبار القصوى: تحت الضغط، في مواجهة الهزيمة، وفي لحظات الفوز التي تكشف الشخصية.

ب) الهوية الجماعية ـــ الفريق والقبيلة والأمة

الأنثروبولوجيا الثقافية تُؤكد أن الهوية الجماعية هي من أعمق الحاجات الإنسانية. الفريق الرياضي يُعيد تمثيل بنية القبيلة البدائية في سياق حديث: هو جماعةٌ تتشارك الأهداف والأخطار والانتصارات، وتُقيم بينها ولاءً يتجاوز المصلحة الفردية. على المستوى الوطني، يمكن لمباراة واحدة أن تُوحّد شعباً متشقّقاً، وأن تُحوّل الشعور المبهم بالانتماء إلى كتلة عاطفية مُلموسة.

ج) الهوية في مرآة الآخر ـــ الطقس الملعبي

الملعب في أعلى تجلياته هو فضاءٌ طقوسي بالمعنى الأنثروبولوجي: له بنيته المعمارية المقدسة، وزمنه المفصول عن الزمن العادي، ولغته الخاصة، وجماعةٌ مؤمنة تتجمّع حوله. الجمهور ليس مشاهدين سلبيين، بل هم مُشاركون في إنتاج الحدث ذاته. في هذا الفضاء تتشكّل الهويات بمنطق 'نحن' و'هم': الانتماء إلى فريق هو انتماءٌ إلى قصة ومصير.

د) الهوية المهدَّدة والمُعاد بناؤها

أعمق ما تُقدّمه الرياضة في مجال الهوية ليس لحظات النصر، بل لحظات الهزيمة والتعافي. حين تُهزم الجماعة الرياضية هزيمةً كبرى، يمرّ هذا الحدث عبر بنية هوياتية كاملة: صدمة الهوية وتساؤل عن معناها، ثم مرحلة التأوّل والبحث عن مسؤولية، ثم إعادة بناء هوية جديدة تستوعب الهزيمة دون أن تُذعن لها. الهوية المُختبَرة في الهزيمة والمُعاد بناؤها في التعافي هي هويةٌ أكثر عمقاً ورسوخاً.

تهيكل صورة الجسد الرياضي في اليونان تجلي فكرة المصالحة مع الطبيعة والعودة إلى احضانها واستعادة وحدة الإنسان المفقودة ،فاليوناني قديما في ممارسته للرياضة ينطلق من متعة الجمال بالمعنى الطبيعي الفيزيووجي اذ إن طبيعة الغريزة الموجودة لدى الانسان هي كل ما يتصل بحب الإنسان للبقاء ومحافظته على الحياة ، والمفهوم منها أيضا هو العمل على التمييز و الاختلاف عن الآخر ، فهناك نوع من مبدا الفردية يحكم في إطار هذه الغريزة الطبيعية حيث يتمثل كل فرد من الافراد علاقته مع الطبيعة في إطار فرديته ، وهي غريزة تلقائية يلتقي فيها اليوناني بجسده في إطار فلسفة متكاملة تعرف ب" العقل السليم في الجسم السليم "فالرياضة كانت احتفالا بالجمال الإنساني و تقديسا للقوة و طقسا دينيا مهما كان يقام في"اولمبيا"على شرف"زوس "كبير الهة اليونان وزوجته" هيرا "حيث وقع المزج بين الرياضة واقامة الطقوس الوثنية ليشعر بقيمة الرياضة وقد ارتفعت الى مصاف القداسة الخالصة من كل الشوائب لذلك ظهر

جسد الرياضي عاريا متجردا من الملابس مخلصا هذا الجسد من من الفوارق الطبقية وابرازه بما هو لوحة فنية تعكس ابداع الالهة وقد قدمت لنا هذا الكمال في التوازن الذي تتحد فيه القوة البدنية بالسمو الروحي و الشعلة الاولمبية خير دليل على ذلك عندما اقدم" برومثيوس "على سرقة النار من زوس واعطائها للبشر.

إن الهدف الاساسي للتربية البدنية لم ينحصر في التسلية والترفيه أو تحقيق الفوز بل إلى تنمية الجسم ليصبح متناسقا وجميلا يعكس صفاء الذهن ليكون بذلك ركيزة اساسية للحياة اليومية ولتهذيب العقل، لذلك ارتبطت الرياضة بالتعليم وبالفلسفة، فكانت فضاءات التدريب البدني مراكز اجتماعية وفكرية يلتقي فيها الفلاسفة والمفكرين لتبادل الأفكار والقاء الدروس في الهواء الطلق فكانت فرصة لتفريغ الشحنات السلبية وتجديد السلام الداخلي ومتنفسا لاثبات الذات وشحن منسوب الحماس والطاقة التنافسية في اتجاه تحقيق" الاريتي " اليوناني أي تلك الفضيلة التي لا ينفك اليوناني يعتقدها وخلاصتها في تكامل القوة البدنية مع الجمال الاخلاقي والنضج العقلي.

لقد كانت التربية البدنية تندرج في الزمانية الاجتماعية لليوناني بشكل يومي حيث يتحقق فيه التطابق الاقصى مع الواقع ومع الحقيقة ،فالانسان اليوناني كان يمارس الرياضة بحواس ما تزال نشيطة لم تكدرها رتابة اليومي ، فقد كان يقيم في حياته مكانا مخصوصا للتربية البدنية ،فلم يكن يقبل عليها" كي يمضي هما " كما قال طرفه ،وانما يقبل عليها من جهة استعداده للتقبل وليس للتأفف من الرتابة ،فهو انسان يقيم للجمال موضعا يومياً في حياته ليس هو جمال هروب من الحياة كما في العصر الحاضر ،وانما الرياضة في نظره هي شاغل يومي متجدد الى جانب التجدد الاقتصادي والايديولوجي الذي أمارسه في حياته.

التوتر البنيوي ـــ بين أصالة الرياضة و مأسسة الربح

الرياضة في جوهرها الأصيل ـــ بمعنى هوزنغا ـــ هي نشاطٌ غايةٌ في ذاته، يُمارَس لأنه يستحق الممارسة لا لما يُنتجه. لكن الرياضة المؤسسية الحديثة تُحوّل هذا اللعب الأصيل إلى عمل، والمتعة إلى

أداء، والجسد إلى رأس مال. حينئذٍ يغدو الربح غايةً لا نتيجة، وتتحول الهزيمة من تجربة وجودية مُثرية إلى فشل اقتصادي.

حين تصبح الرياضة مهنةً خالصة، يفقد اللاعب اللاعبَ الذي بداخله — وهذا هو الثمن الخفي للاحتراف

غير أن هذا التوتر لا يعني التناقض المطلق. الرياضي العظيم لا يفوز رغم انشغاله بتحقق ذاته، بل يفوز لأنه غارق في تحقق ذاته. الربح الأصيل هو ثمرةُ الوجد لا هدفه.

الجسد كنص

تعلّمنا أن ليس ثمة جسد طبيعي خالص. كل حركة، كل وقفة، هي فعل ثقافي قبل أن تكون فسيولوجيا. الجسد الرياضي إذن هو نص مكتوب بأيديولوجيا، بتاريخ، بعلاقات قوة.

Marcel Mauss وحديثه عن "تقنيات الجسد" التراث الأنثروبولوجي

ثلاثة مستويات لقراءة هذا النص:

١ .الجسد المُشكَّل(The Disciplined Body)

فوكو رأى في المؤسسات الرياضية الحديثة امتدادًا للسلطة الانضباطية. التدريب هو "ترويض" بمعناه الأعمق: جسد يُقاس، يُراقَب، يُصحَّح. السبّاح يتدرّب ست ساعات يوميًا لا لأنه يختار ذلك بحرية مطلقة، بل لأن منطق النظام الرياضي يجعل هذا هو "الطريق الوحيد". الشرنقة تتشكّل من قواعد لا مرئية.

٢ .الجسد كرأس مال(Body Capital)

بورديو يُدخلنا إلى عالم "رأس المال الجسدي": الجسد الرياضي المتقن له قيمة في السوق الاجتماعية. البنية العضلية للعب كرة القدم في الأحياء الشعبية مختلفة عن تلك المطلوبة للغولف في نوادي النخبة. الرياضة، إذن، تُعيد إنتاج التمييز الطبقي عبر الجسد ذاته، جاعلةً اللامساواة تبدو "طبيعية".

٣ .الجسد كهوية(Identity Body)

حين يقول اللاعب "أنا رياضي"، هو لا يصف نشاطه، بل يُعلن أنطولوجيا. الرياضة تصبح لغة الهوية الأولى، وهذا بالذات ما يجعل الإصابة أو الاعتزال أزمةً وجودية حقيقية: "مَن أنا حين لا أعود أُجسّد ما أنا؟"

النظرة ومتاهة المعنى

العنوان يقول "كل نظرة للجسد"، وفي هذا التعبير كثافة فلسفية. فالنظرة ليست بريئة:

نظرة المشاهد تُحوّل الجسد الرياضي إلى عرض . غي ديبور في "مجتمع الاستعراض" يُحذّر: حين يصبح الرياضي صورةً تُستهلك على الشاشات، يتبدّد بُعده الإنساني، ويتحوّل إلى رمز يخدم اقتصاد الانتباه. الفعل يتحوّل إلى وسيلة لإنتاج الصورة.

نظرة الرياضي لذاته مسكونة بالمقارنة الدائمة. الأداء الرياضي يُنشئ ذاتًا في صراع مستمر مع نفسها: الرقم السابق، الرقم العالمي، الخصم، الأمس. إنها ذاتية تتقوّم بالتجاوز المتواصل، وهو ما يجعل الراحة خيانةً، والتوقف هزيمةً.

الأذى الهادئ: ما تخفيه الشرنقة

وراء بريق الأداء، تختبئ تكلفة أنثروبولوجية باهظة:

الاستلاب الرياضي: الرياضي المحترف يُودِع جسده في عقد اجتماعي غير متكافئ. جسده موردٌ للمنظومة (أندية، إعلام، رعاة، دول)، وحين يتهالك هذا الجسد، كثيرًا ما يُترك وحيدًا. الكُسور، والإصابات المزمنة، والاضطرابات النفسية التي يعانيها الرياضيون بعد الاعتزال،

ما الإنسان الذي تحتاجه الرياضة؟ وما الإنسان الذي تُنتجه؟

الرياضة في خطابها تحتاج إنسانًا حرًا، إراديًا، يتجاوز حدوده. لكن الرياضة في ممارستها تُنتج أحيانًا إنسانًا تابعًا للنظام، مُعرَّفًا بأرقامه، خائفًا من التوقف. الفجوة بين الخطاب والواقع هي موضع الأنثروبولوجيا بامتياز.

إن الرياضة المعاصرة منبتة عن اصلها الإنساني كما عرفته في منشئها اليوناني و الانسان داخلها شقي بوعيه يلهث وراءها، يبحث عن التسلية وعن المتعة المكبلة بمنطق السوق ورأس المال النهم الذي يحرسها بكل اعوانه وفي مقدمتهم الالة الاعلامية التي يرتبط بها ،فالمشهد الرياضي اصبح مرتهنا إلى اختيارات المخرج الذي يعتبر هو أيضا لاعبا لايقل أهمية عن اللاعبين، يختفي وراء الكاميرا ليريك من الصور الزاوية التي ارتضاها هو و التي تستجيب لاهدافه ،

هو صاحب الارادة الحقيقية و ما اللاعبون إلا اجساما متحركة بفعل خيوط يقع توجيهها من خارج الملعب . إن هذه الأطراف الخارجية و المخرج وراء الكاميرا هو الذي يصنع الذوق كما قال بورديو بواسطة مختلف فنون التاثير التي تهدف إلى استحداث انفعال ما يظنها الانسان المعاصر كفيلة بالترويح عن نفسه ويفوته أنها زمنية لا تندرج في إطار حياته العامة وانما هو وقت يمحو به الاوقات الأخرى هو وقت يجدد به زمنا آخر

زمن تآكل ،فتاتي زمنية نهاية الاسبوع لتجدد طاقة الجمهور على الصبر وجعل الألم اليومي وقسوة الحياة محتملين.

إن الرياضة هي سليلة الطبيعة أي إنها في نهاية الأمر ليست استثناء للحياة اليومية ،غير أننا اليوم أصبحت علاقتنا بالرياضة علاقة بفضاء مصطنع معد مسبقا لغاية هي الفرجة ،والفرجة هي ضرب من الخلاء الذي يفصل بين شيئين ،بين بابين وفي إطار الباب الواحد نجد فتحة هي الفرجة وهذه الفرجة هي الاستثناء للرتابة العامة التي تمثلها الحياة اليومية ،فالمتفرج يحتاج إلى نوع من الانفعال والهيجان القوي هو انفعال خارج عن المعهود ،وما التظاهرات الرياضية المعاصرة إلا ظواهر تنظم هذه الانفعالات عبر برمجة عروض خاضعة لعدة مؤثرات صوتية وضوئية وترتيبات مشهدية واخراجية دقيقة تهدف الى استحداث انفعال ما ،الى فلاحة انفعالات ،وبرمجتها في الزمان والمكان وبذلك اصبحت لايديولوجيا الرياضة اليوم نظرية في التقبل يمكن ان تنشأ فيه في كل لحظة حياة جديدة ،هذه الزمنية المبرمجة يقيم فيها الإنسان علاقة جديدة لم تعد فيه الحياة اليومية ذات معنى إنها اللامعنى، انه اللاشعور مما دفع بأحد الفنانين أن يقول في حديثه عن اليومي"ان الكرسي الذي أجلس عليه في المقهى هو اللاشعور "فالحياة اليومية نبصر فيها ولكننا لا نعير فيها انتباها لأنها تؤلف عالميا لا متناغما فانسانيتنا اصبحت تعبيرا عن التطور والتكنواوجيا فقط هي حياة شاحبة بلا روح بلغة كارل بوبار فلم تعد الرياضة تحضر في حياتنا اليومية وانما هي خارجة عن حياتنا هي ما نلجا إليه لنمحو حياتنا اليومية ،وبمجرد الخروج من ذلك الفضاء ومن ذلك الاحتفال و ذلك العيد الرياضي بما فيه من مشاعر وانفعالات مبرمجة تسمح بتجدد طاقة الناس على الاحتمال مع التأكد ان الدولة لاتسمح بالخروج اليومي الغير منظم الا في المناسبة الرياضية المنظمة والمبرمجة التي تشرف عليها هي بنفسهاهي ليقع فيها ذلك التطابق الاقصى مع الواقع ومع الحقيقة.

ربط افلاطون في جمهوريته الرياضة بالحرب حيث ينبغي أن يدرب الشباب على اشكال من الرياضة من شانها أن تساهم لاحقا في الدفاع عن المدينة و دفع الشرور عنها ومن هنا تحولت الرياضة شيئا فشيئا من

لعب الى حاجة تتطلبها سلامة الدول والمدن، ومع ظهور المجتمعات المتشكلة من طبقات ومن قوى اجتماعية متنابذة ومتصارعة وقع القبض على اللعب.

وبذلك تكون الرياضة قد انسلخت عن سياقها النابض لتختزل في معايير ساكنة، فلم يعد من الممكن أن يتجافى النقد عن مساءلة هذا التحول في مفهوم الرياضة ومقاربته.

لقد وقع تحويل الجسد الى أداة ووسيلة أشبه ما تكون بالالة المطلوب منها انتاج اقصى طاقة واكبر شغل، واخضع بذلك اللعب إلى قواعد صارمة ومنظمة لهذا النشاط الرياضي فقتلت بذلك العفوية والحرية و التلقائية واللعب الخلاق المبدع فلم يعد الجسم في الرياضة يشعر انه يحقق ذاته و ينتشي بما يعيشه في تلك اللحظة، ولم يعد الانسان تبعاً لذلك يخبر مشاعر الرضا في ممارسة الرياضة إلا عبر الفوز ضمن اطر صارمة محكومة بالقوانين والضوابط المعقدة .

إن الموقف من الرياضة اليوم مهما يكن منطلقه يعكس موقفا من المجتمع الراسمالي فلم تعد الرياضة مصدر متعة وابداع ووسيلة تحرر للفرد و الجماعة تدرجها ضمن ابعاد الوجود الانسانية باعتبارها لغة الجسد ولغة الواقع فشهدنا موت الإنسان بتحويل اللعب إلى مهنة والجسد الى بضاعة. لقد وقع تبضيع كل شيء في الرياضة ،فالاهداف الرياضية والرهانات الرياضية التي كانت من شرائط تحفيز الناس على البقاء على وضع الحماسة تحولت إلى عصبية والى اجواء متشنجة خاصة إذا تعلق الأمر بتسجيل النقاط في المنافسات الرياضية وما يثار من جدل حول قرارات الحكام وشرعية الأهداف والنقاط المسجلة، فتصبح هذه القرارات محل تحليل وتاويل ومحل شبهات في حضرة قوانين تقنية دولية صارمة فيقع التاثيم بموجب هذه التحاليل وقد يطال الفرق وللاعبين مثل حارس المرمى و... وقد يبلغ مبلغا يجرم فيه الجمهور والجمعيات وتؤول المقابلات الى ردهات المحاكم، و تتعمق الازمة أكثر عندما نرى بعض من يشتغل بعلم نفس الجماهير يستثمر هذا العلم في مساره الصحيح بل يقع توظيفه في تاليب جماهير النوادي وبث البغضاء والفرقة بينها

ليقع استثمار هذه الازمة سياسيا فيما بعد. وقد يزيدون من حماسة هذا الجمهور بابقائهم ينتظرون بصفة دورية نتائج المنافسات ، فترتهن نفوسهم إلى فكرة الخلاص من الفقر بتحقيق حلم الثروة ،فالرابح كما الخاسر في لعبة الرهان الرياضي مدفوع به الى الارتهان في اللامتعين أي فيما ليس بعد والحال أنه عليه أن ينظر إلى واقعه.

إن الجانب النفسي في علم نفس الجماهير كما تحدد مع Gustave le bon

يحيلنا إلى سيكولوجيا الانسان المقهور ،الى هذه الجماهير التي تغص بها مدرجات الملاعب، جماهير يشكو اغلبها مصاعب ومعضلات في الحياة اليومية ،فيجدون في هذه التظاهرات الرياضية متنفسا يلوذون به لامضاء هم وللتخفيف من وطاة الواقع ومتطلباته الذي ينوؤون بحملها،هي جماهير مقهورة تبحث عن التعويض ،فهذا المقهور مدة اسبوع يتحول في الملعب أو في الشارع إلى قاهر لمدة يوم، إلى منتصر ،ولتنظيف المدخنة وما يختلج في الاعماق منه يعمد إلى ممتلكات الغير يخربها من سيارات و...و الاعتداء على الممتلكات العامة بالتكسير مثل الفوانيس الكهربائية في الشوارع اذ يعتقد بذلك أن له من القوة ما يمكن أن ينتصف بها لنفسه ممن قهره فيصرفها في اشكال مختلفة من العنف وبذلك فقط تهدا نفسه يقول: Edward Galliano

في كتابه الموسوم ب "كرة القدم في الشمس والظل" "إن المتعصب هو المشجع في مشفى المجانين، فنزوة رفض ما هو جلي اغرقت العقل وكل ما يشبهه...وتمضي مع التيار بقايا الغريق في هذه المياه تغلي وهي هائجة على الدوام بغضب لا هدنة فيه" يتحول المقهور إلى متعصب يتغذى من الاعلام ومن لغة محلليه ومعلقيه وهم يصفون الانتصار بلغة الحرب من قبيل سحق الكتيبة الفلانية خصمها وعندما يكون اللاعب رأس حربة واللقاء نزال وما شابه ذلك...الرياضة اليوم ارتهنت إلى الاعلام ولا يمكن تصور حماسة وتنافس في غياب الالة الاعلامية التي قد تجيش الأجواء وتشحنها لاسيما اذا تركت هذه الالة الاعلامية

للخواص وتكون مملوكة لرأس المال فانها غالبا ما تعتمد التضليل سبيلا لقصف العقول ،فالانسان المقهور يكون مفعولا به و لعبة في ايدي الاعلام وقد تمت استمالته فاصبح اداة يتلهى بها دوريا فتكون الرياضة تبعاً لذلك هي المخدر الذي يتوسط بين الوعي بالمشكلات الاجتماعية ومصالح رأس المال ،ان الراسمالي المتوحشة اسهمت في اغتراب الناس عن اجسامهم ،بتطلعها الى تحطيم المسافة واختصارها بتحقيق الكسب السريع دونما نظر الى الفرد كانسان ،لقد وظفت الراسمالية الرياضة بطريقة تجعل الجماهير الكادحة تتغافل عن حقوقها داخل المدينة عندما حولت الرياضة من نشاط ينمي قدرات الجسم وقدرات الذكاء إلى مجرد افيون يبلد الذهن ويسطح الاهتمام وينوم الجماهير ويتلاعب بعواطفهم ويصرف طاقاتهم في الجدل ويبدد قواهم الذهنية ليتحولوا إلى مجرد ارقام خرساء يتحكم فيها لقد اصطبغت الرياضة المعاصرة بالصبغة المادية،واصبحت أحد أكبر مجالات تسويق البضائع والمصالح التجارية فالمجتمع الراسمالي الاستهلاكي يجتهد في خلق احتياجات غير ضرورية للانسان وافتعالها من أجل توسيع دوائر تسويق السلع فتصنع ادوات رياضية منزلية باهظة الثمن موهمة بانها تغني عن المشاركة الرياضية في اللعب وعمل الاعلام على التسوق لهذه المنتجات عن طريق الاشهار .كما ارتبطت السياحة بالرياضة بتزايد تجارة الملابس والأدوات الرياضي واقامة عروض الازياء الرياضية من اجل ان يبتلع السوق كل جديد والمستفيد الأكبر هم اصحاب المصالح التجارية.لقد تحولت الرياضة إلى صناعة استثمارية ترعاها الدول والمجتمع المدني فتغيرت تبعا لذلك منظومة القيم التربوية التي كانت تدعم اللعب لتؤول إلى تنشيط نوازع الربح في عالم تسيطر فيه البضاعة وتسيطر فيه الفرجة ونذكر في هذا المقام كتاب الفرنسي Guy Debord

"مجتمع الفرجة" اذ يقول "ليس الاستعراض هو مجموعة من الصور بل علاقة اجتماعية بين اطراف تتوسط فيها الصور" فرياضة اليوم مرتبطة بالاستعراض والفرجة حيث تكون للصورة أهمية كبرى تعمقت اكثر مع وسائل الاتصال الرقمية فبات العالم الرياضي مقلوبا كمن يمشي على راسه حيث إن الرياضي على الميدان لم يعد هو المستفيد من ثمار ما انتج وانما المستفيد الحقيقي هو من يملك الصورة ،فاللاعب على

الميدان مغترب عن جسده عندما يفتقد احساسه بالجمال وبالمتعة الذوقية وهو يلعب وانما هو بصدد صناعة متعة مزيفة لجموع تساعده عبر قنوات التلفزة فكانما هناك تامر متبادل وتزييف متبادل لذلك يقول Guy Debord

"إن هذه المجتمعات تتحول الحقيقة فيها إلى لحظة من لحظات الكذب، فالامر يتعلق بوهم المتعة" ثم إن هناك عملية اخراجية من وراء ما يعرض على الشاشة حيث يكون المشهد مرتهن باختيارات المخرج الذي يعتبر هو ايضا لاعبا آخر مهم وراء الكاميرا يريك من الصور ما يرتضيه وما يحقق اهدافه فبات المخرج هو من يصنع الذوق كما قال بورديو

Formatage des goux

إن رياضة اليوم يطغى عليها الاستعراض والفرجة التي تراهن على الصورة حتى بات من يملك الاعلام يملك الحقيقة فاصبح العالم مقلوبا يمشي على راسه فالفاعلين الحقيقيين على أرضية الملعب لا يظفرون بما يحبون كبشر من الناحية الفنية ومن ناحية المتعة الذوقية فباتوا يصنعون متعةمزيفة لجموع تشاهدهم عبر القنوات التلفزية وكانما هناك تآمر متبادل وتزييف متبادل لذلك يقول" Guy Debord إن الحقيقة في هذه المجتمعات تتحول إلى لحظة من لحظات الكذب، اذ الأمر يتعلق بوهم المتعة"

وحتى تكتمل دورة رأس المال كان لا بد من أن تحول الراسمالية المشاهدة إلى سلعة والجماهير المحبة للرياضة إلى مستهلكين يشترون تذاكر باهظة الثمن لمشاهدة المباريات حية ،ويدفعون معلوما معينا للمحطات التلفزيونية ليشاهدوا المباريات منقولة، وقد قادت محطات تلفزيونات مستقلة ووطنية صراعا قويا ومنافسة كبيرة لتنتزع حقها في المباريات المحلية والاقليمية والعالمية وتبقى "الفيفا" التي اصبحت أداة من أدوات الراسمالية العالمية هي التي تدير خيوط هذه المنظومة الرياضية وهي التي تملك قانون الترخيص لمن يدفع أكثر لمشاهدة المباريات

يبدو أن الرياضة اليوم لم تقدر على الافلات من سلطان النظر من سلطان ايديولوجيا السوق فاستسلمت إلى نوع من السياسة مخصوصة إلى درجة أنه بات من غير الممكن اليوم التفكير في امكان غير ايديولوجي للرياضة.

فكيف يمكن نسف المعيارية الايديولوجية للرياضة اليوم ؟وما الذي يعبر عنه الاقبال غير فكري وايديولوجي للرياضة بالنسبة إلى الحضارة الانسانية وللوجود الإنساني وبمعنى آخر ما هو الثمن الذي يجب دفعه حتى تنعتق الرياضة ويحرر اللعب من سلطان الايديولوجيا واخلاق السوق وكل السلطات النظرية التي تلزم الرياضة.

الشرنقة ليست بالضرورة مصيدة. يمكنها أن تكون مكان التحوّل الحقيقي، بشرط أن نُبقي الوعي يقظًا داخلها. الأنثروبولوجيا الرياضية النقدية لا تدعو إلى رفض الرياضة، بل إلى رؤيتها بما هي: نظام بشري تاريخي، قابل للتساؤل، قابل لإعادة التشكيل.

السؤال الأخير: هل يمكن أن تكون الرياضة مساحة لتحرير الإنسان لا تطويعه؟

ربما. لكن ذلك يشترط أن نُعيد السؤال دائمًا — كما يفعل هذا العنوان — عن الإنسان من وراء النظرة، لا عن النظرة وحدها.

المراجع

وهان هوزنغا — الإنسان اللاعب (1938) |

موريس مرلو-بونتي — فينومينولوجيا الإدراك (1945) |

هيغل — فينومينولوجيا الروح (1807) |

سارتر — الوجود والعدم (1943) |

رونيه جيرار — العنف والمقدس (1972) |

تشيكسنتميهاي — التدفق (1990) |

ماسلو — دوافع الشخصية (1954)

غاليانو، إدواردو. كرة القدم في الشمس والظل. ترجمة: صالح علماني. دار الطليعة الجديدة، 1998.

ديبور، غي. مجتمع الفرجة. 1967، الأطروحة 4

شيلر، فريدريك. رسائل في التربية الجمالية للإنسان. 1795، الرسالة 15.

Matveyev, L. P. (1981). Fundamentals of Sports Training. Progress Publishers.

Mauss, M. (1936). Les techniques du corps. Journal de Psychologie Normale et Pathologique, 32, 271–293.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0).

هذا البحث متاح بموجب رخصة المشاع الإبداعي نسب المصنف - غير تجاري 4.0 دولي (CC BY-NC 4.0).